قال : إن الشيطان لا يأتى إلا من إشعاره الكمال ، فأشعر نفسك النقص ، وذكرها في الصحة المرض ، وفى الحياة الموت . ولقد أدركنا من مشايخنا من إذا قسا قلبه امّ المستشفى أو قصد المقبرة ، فخوف نفسه المرض وذكرها الموت . والمؤمن لا يزال بخير ما زال بين الخوف والرجاء ، فإن لم يخف أو لم يرج فقد هوى .. ولقد سمعنا ان منهم من كان يدنى يده من المصباح ويقول : يا نفس إن لم تصبرى على هـذا فكيف ويحك تصبرين على نار جهنم ؟ وإن المؤمن ماثارت فى نفسه شهوة ، إلا أطفأها بأنهار الجنة ، أو أحرقها بنار جهنم ، فاستراح منها . . .

وما الانسان لولا العقل ؟ وكيف يكون العقل إن لم يكن معه الايمان ؟ إنه لايكون إذن إلا كما قالوا : أوّله نطفة مذرة ، وآخره جيفة قذرة . . . وللسلطان سكرة ، فمن أسكره سلطانه وعزته على الناس ، فليذكر هوانه على الله ، وأن الله أهلك أشد الملوك : النمرود ، بأضعف الخلق : البعوض

فيامن أصله من التراب ، لاتنس أن نهايتك إلى التراب !

* * *

وكان الباشا يشعر ، والشيخ يتكلم ، كأنه كان محبوساً فى صندوق ، ثم فتح عينيه فنشق الهواء الطلق ، أو كأنه كان فى ظلمة فاحمة ، فطلع الشيخ عليه شمساً نيرة ، فتضاءل حتى جلس على ركبتيه ، ورأى نفسه دون هؤلاء كلهم ، لأنهم ألصق منه بالشيخ وأدنى إليه ، ولم يعد يزعجه مرأى الشيخ وهو ماد رجله... بل كان يراه الغريق ويراها خشبة النجاة ، وكان يبصرها عالية بجناح النسر المحلق ، ثم لم يعد يري فيها شيئاً ،لقد استحال الشيخ فى نظره إلى فكرة ... لم يعد يري فيه إلا الحقيقة تمثلت إنساناً

* * *

قال الراوى : فلما ذهب الباشا ، بعث إلى الشيخ بكيس فيه الف دينار من الذهب العين ، فلما جاءه به الرسول وألقاه بين يديه تبسم الشيخ رحمه الله ورده إليه ، وقال له : سلم على سيدك وقل له : إن من يمد رجله لا يمد يده . . . . .

البصرة — علي الطنطاوي

من أدب القوة

مثـــال ..!

للأستاذ عبد المنعم محمد خلاف

ثارت نفسه ثورة ضارمة جامحة لِتَحَيُّف الغاصبين وطنه وتمزيقه شر ممزق ؛ فصرخ الدم فى عروقه ، ولصرخة الدم دوى يسمعه الأحرار فتصيبهم جِنَّةٌ تخرجهم من ديارهم إلى القبور... وتَحرَّك الإيمان فى قلبه ، ولحركة الإيمان زَلزلةٌ تتحطم بها كل الشهوات ويستيقظ لها المؤمنون يقظة تخرجهم من قبور الغفلة إلى حومة الجهاد ... وأقبل الملك والشيطان يصطرعان على فكره وهو بينهما كما تكون كُدْسَةُ الحَبّ بين شِقّ الرحى . . . يدعوه الأول إلى خطة الأقل والأكثر فيها الفِداء فى الدار التى عريت من الخلود وازينت بالشر ، ويقول له : إنك ما كنت لتحيا هنا ، وإنما الحياة هناك . . . فاذبح مالك لحريتك ، واذبح شهوة الدعة فى الزلة لكرامة العزة ، واخرج من كل شيء لله الذى أعطاك كل شيء ...

إيتِهِ جسداً عارياً من الحلى والزينة ، فإنها سلاسل تربطك بالأرض . . . وائتِهِ نفساً عارية من كلَبِ شهوةِ البقاء . . . وائته عقلا عاريا من صور البنين والملوك والذهب والفضة والمنصب ... فإن كل أولئك أقذاء وحجب تغشى العين فلا تبصر ذلك اللفظ الصارم الذى لا يرحم ، العابس الذى لا يبتسم : الواجب !

إيتِهِ عبداً مملوكا طائعا ولك الكرامة قبل أن تؤخذ آبقاً كارها وعليك كلمة السوء ...

ويدعوه الثانى إلى خطة الأقل فيها السلامة . . . والأكثر فيها العيش الموفور المعَطَّرُ المُدَثَّرُ المفضض . . . ويقول له : مالك مجنوناً بالفناء وقد خلقت للبقاء ؟ ! الناس قطعان حيوان ليس فيهم حرمة ولا لهم واجب فلماذا تموت ليحيوا . . ؟ أتموت أنت الشابّ الفُرَانِقَ المُقْبِل ليحيا العجائز والشيوخ المدبرون . . ؟ لماذا تحمل وطنك بكل ما فيه على قلبك ؟ ألقِهِ عنك يتحطم وعش على أنقاضه . . . دع أوهام الأديان وأحلام الفلاسفة والشعراء . . . أنت « لا تأتى إلى دنياك هذي مرتين ؟

لا تقف في وجه لذاتك مكتوف اليدين . ! » ولماذا تقدم نفسك
ذبح ويتأخر فلان وفلان ؟ إنتظر حتى يتقدموا ... أتموت ليبقى
عماء فلان وفلان وفلان يتمتعون بالمجد والنعمة والحمل على
عناق . ؟ أتخشى حساب الله على تخلفك عن الجهاد ؟ ومن أنت
تى يحاسبك الله العظيم ؟ ! على أن في الحياة كفارة ...

فيقف في غمرة من الحيرة بين وحي الملك ونزغ الشيطان ،
كن صراخ الدم وزلزلة الإيمان مضافاً إليهما حديث الملك
ضافاً إليها حكم العقل بأن الحياة الدنيا ما دامت تنتهي فالأولى
تنتهي بشرف ... وما دامت اللذات والمناعم ، بنت ساعتها ،
تحيا في النفس إلا ريثما تحيا في الحس . وليس لها نصيب من
ياة الذكرى الخالدة فالأولى أن تُفطمَ النفس عنها وبخاصة إذا
ا داعي الواجب وقالت قوانين الحياة الشريفة : يا إنسان ، التجدة !

كان «موظفاً» في الحكومة ، والوظيفة رخصة تبيح لصاحبها
د نفسه وعند بعض الناس أن يغضي على كل لعنة تصيب دينه
طنه . . ! وأن يكفر بالله ويعبد الرغيف . . . وليس الرغيف
سروري فحسب بل الرغيف المرصع بكل لذات الفم له ولأبنائه
أرياتهم إلى يوم القيامة . . ! حتى لا يستهدف بزعمه للعناتهم ...
ن يقيم حول ذلك الرغيف سورا وقلاعا من العبارات والضياع
فظه ممن يتعقبونه ...

ياما أعجب أنانية الانسان ! إنه لا يدرك من حقه إلا ما امتلكه
ي التافه والحقير ... أما حقه الكبير الذي به سر حياته فلا يدركه
لا يغار عليه ولا يألم لوخز قلبه في عقيدته كما يألم لشوكة تخز خلية
ي خلايا جسده الترابي . . ! ولا يثور لحق وطنه المسلوب كما
ور لمتاع سرق أو حمار نَفَقَ . . !

ولكن صاحبنا كان من الذين يضعون دائماً قلوبهم على
كُفِّهم يعلنونها مستبرئة ظاهرة ليخيفوا بمرآها من ليست لهم
وب . . . أو من كانت قلوبهم هواء ، أو ليجعلوها دائماً تحت
أثير المباشر للحوادث ، تقرعها الحادثة فتجد صداها مردداً في
دق وبعدٍ عن الرياء والتدليس ، أو ليستفتوها إذا نزل أمر عاجل
عجل الفتوى من إلهام الطبيعة وميزان الفطرة . لذلك ما كانت
ود الوظيفة صمامة على سمعه تمنعه من سماع نداء الواجب ،
لا كمامة على فيه تمنعه من كلمة الحق . . . فلم يكن يدلس على
سه بتأويل الحوادث ودفعها إلى غير وجهها وتحميلها غير ما يتقاضاه
منطقها ، وخاصة إذا كان مدار الحوادث دينه أو وطنه ، فحينذاك
يضع قلبه في كفة ميزان والوظيفة بما وراءها من جاه ومال ودعة
في كفة ، ويختار الذي هو راجح وخير ، وهو الأول دائماً !

فلما أن طار الحريق في جو وطنه من أنفاس الأحرار حسرة
على ما أصاب بلادهم وحريتها كتب يقول :

« أيها الحاكمون ! »

أنا عامل في حكومتكم ، ولكني ما بعتكم حريتي لأني
لا أملكها ؛ فإنها ألطف وأدق من أن تملك ؛ إذ هي في الحصن
المغلق على سر الإنسان : في القلب ...

لذلك أعلنكم أن هذا الجانب الخفي الرفيع مني قد أعلن الثورة
عليكم ، وترك لكم هذا الجسد مِلْكَ يمينكم ، فإن شئتم أخذتموه
بها فقطعتم منه الوتين .. وتلك غاية مكنتكم . . وإن شئتم تركتموه
سلاحاً تقاتلكم به حريتي التي تحكمني من داخلي .. وتلك غايتها وغايتي!

أما أن أهادنكم على الدَّنِيَّة في ديني والخائنة في وطني فذلك
ما ليس إليه طاقة حر .

المال الذي آخذه منكم إنما هو لتحقيق كرامتي بين الناس ؛
فإذا لم أجد لأمتي كرامة فما كرامتي أنا ؟ ! إذاً فهو الآن عندي
كعلف الدابة التي تركب . . ولن أكونها !

والجاه الذي أتمتع به في حكومتكم الدخيلة الغاصبة ، إنما هو
جاه العبد . . لن يرتفع به إلى أن يكون سيداً مهما كان قربه من
سيده ؛ لأن السيادة ليست له في نفسه ، ولا في اعتبار الناس ،
ولا في اعتباركم أنتم ، فهو جاه مثلث التزييف ، وأنا آباه !

ودولاب الأعمال في حكومتكم يدور بحرية وإخلاص منكم
ليفني الحرية والاخلاص منا ؛ فاشتراكي معكم جريمة لا يغتفرها قلب
الوطن ولا حساب الله .. فلن أصبر بعد اليوم على ما أرى من قبيح
فعلكم بأمتي ونقضكم المواثيق التي واثقتم بها أنفسكم وتمزيق وطني
ذلك التمزيق الذي سيفنيه لو بلغتم مرادكم فيه ، وما أنتم ببالغيه »

وبهذا انطلق من وظيفته كما ينطلق الطير من قفص فيه
حَبٌّ وماء ، ونشيده : الجوَّ الجوَّ ! ولم يَأْسَ على الحب والماء
لأنهما ليسا الشيء الهامَّ في سعادة قلبه . . .

ثم سار يجاهد ويضرب في الأرض ، لا يملك غير وجهه
جاهاً ، وغيرَ يديه ثروةً ، وغير قلبه خزانة .

عبد المنعم محمد خلوف